

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْكِرَامُ،

لَا يَتَحَقَّقُ الْغَرَضُ الْأَشْرَفُ مِنْ وُجُودِ الْإِنْسَانِ. فَإِنَّ الْوُصُولَ إِلَى السَّعَادَةِ الْحَقِيقِيَّةِ لَا تَكُونُ إِلَّا بِتَجَاوُزِ عَالَمِ الْمَادَّةِ هَذِهِ وَانْقِطَاعِ الْقَلْبِ عَنْهُ تَمَامًا. وَلِهَذَا شَرَعَ اللَّهُ تَعَالَى الصَّوْمَ، لِيَسْتَهْلَ عَلَيْنَا تَرْبِيَةَ أَنْفُسِنَا. فَفَرِيضَةُ الصِّيَامِ إِذَنْ مَنَحَةٌ وَنِعْمَةٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَتَكْرِيمٌ مِنْهُ لِعِبَادِهِ. وَقَدْ بَشَّرَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالْجَزَاءِ الْعَظِيمِ عَلَى صَوْمِ هَذَا الشَّهْرِ حِينَ قَالَ: «مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»³.

إِخْوَتِي الْأَعْرَاءُ،

إِنَّ النَّظْرَةَ الضَّيْقِيَّةَ إِلَى شَهْرِ رَمَضَانَ عَلَى أَنَّهُ أَيَّامٌ جُوعٍ وَعَطَشٍ، يُعْيِفُنَا عَنْ إِدْرَاكِ أَهْمِيَّةِ الصَّوْمِ وَيُفَوِّتُ عَلَيْنَا هَذِهِ الْفَائِدَةَ الْعَظِيمَةَ. فِي حِينِ أَنَّ الْمَطْلُوبَ مِنَّا فِي هَذَا الشَّهْرِ أَنْ نَرْفَعَ مِنْ مَعْنَوِيَّاتِنَا، وَأَنْ يَنْعَكِسَ أَثْرُ ذَلِكَ عَلَى تَصَرُّفَاتِنَا وَأَعْمَالِنَا الْيَوْمِيَّةِ. وَقَدْ نَبَّهَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى أَنَّ الصِّيَامَ لَيْسَ عِبَارَةً عَنِ الْجُوعِ وَالْعَطَشِ فَقَطْ وَقَالَ: «رُبَّ صَائِمٍ حَظَّهُ مِنْ صِيَامِهِ الْجُوعُ وَالْعَطَشُ»⁴. وَقَالَ فِي حَدِيثٍ آخَرَ: «مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ، فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ»⁵. فَعَلَيْنَا -إِنْ صَحَّ التَّعْبِيرُ- أَنْ نَصُومَ بِجَمِيعِ أَعْضَانِنَا، فَنَحَافِظَ عَلَى أَلْسِنَتِنَا مِنْ أَنْ تَنْطِقَ بِسُوءٍ، وَنَحَافِظَ عَلَى عُيُونِنَا مِنْ أَنْ تَفْعَ عَلَى حَرَامٍ، وَنَلْتَزِمَ بِأَحْكَامِ اللَّهِ تَعَالَى حَرْفِيًّا، وَنَجْتَهِدَ فِي الْمَحَافِظَةِ عَلَى مُكْتَسَبَاتِ هَذَا الشَّهْرِ فِيمَا بَعْدَ رَمَضَانَ أَيْضًا.

أَسْأَلُ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنْ يُعِينَنَا عَلَى حُسْنِ اسْتِقْبَالِ هَذَا الشَّهْرِ الْكَرِيمِ، وَأَنْ يُوقِفَنَا لِلصِّيَامِ وَالْقِيَامِ عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي يُرْضِيهِ. إِنَّهُ وَلِيُّ ذَلِكَ وَالْقَادِرُ عَلَيْهِ. آمِينَ.



إِنَّ جَمِيعَ الْمُسْلِمِينَ حَوْلَ الْعَالَمِ يَنْتَظِعُونَ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ إِلَى اسْتِقْبَالِ شَهْرِ رَمَضَانَ الْمُبَارَكِ. فَلَمْ يَبْقَ لِحُلُولِ هَذَا الشَّهْرِ الْكَرِيمِ سِوَى سَاعَاتٍ مَعْدُودَةٍ. وَبِهَذَا الشَّهْرِ الْمُبَارَكِ، يَمُنَحُنَا اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فُرْصَةً عَزِيزَةً لِنَحَاسِبَ فِيهِ أَنْفُسَنَا، وَلِنُصَلِّحَ أَنْفُسَنَا، حَتَّى نَكُونَ أَهْلًا لِرَحْمَتِهِ وَمَرْضَاتِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى. وَمِمَّا يَتَمَيَّزُ بِهِ شَهْرُ رَمَضَانَ عَنْ سَائِرِ الشُّهُورِ الْآخَرَى، أَنَّهُ الشَّهْرُ الَّذِي أَنْزَلَ فِيهِ الْقُرْآنَ. قَالَ تَعَالَى: «شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ ۚ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ»¹.

إِخْوَتِي الْأَعْرَاءُ،

لَعَلَّ مِنْ أَبْرَزِ خَصَائِصِ شَهْرِ رَمَضَانَ، أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى حَصَّ هَذَا الشَّهْرَ بِفَرِيضَةِ الصِّيَامِ. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَنَاكُمُ رَمَضَانُ، شَهْرٌ مُبَارَكٌ، فَرَضَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْكُمْ صِيَامَهُ، تُفْتَحُ فِيهِ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَتُعْتَقُ فِيهِ أَبْوَابُ الْجَحِيمِ، وَتُعَلُّ فِيهِ مَرَدَةُ الشَّيَاطِينِ»².

وَلَقَدْ ثَبَتَ عِلْمِيًّا أَنَّ لِلصَّوْمِ فَوَائِدَ صِحِّيَّةً لِبَدَنِ الْإِنْسَانِ مَتَى صَامَ عَلَى الْوَجْهِ الصَّحِيحِ. فَقَدْ أَفَادَ رَجَالُ الْعِلْمِ مِنَ الْأَدْيَانِ وَالثَّقَافَاتِ الْمُخْتَلِفَةِ أَنَّ بَقَاءَ الْإِنْسَانِ جَانِعًا لِفَقْرَاتٍ مُعَيَّنَةٍ، لَهُ فَوَائِدُ صِحِّيَّةٌ عَلَى بَدَنِهِ. وَمَعَ كُلِّ الْفَوَائِدِ الصَّحِّيَّةِ لِلصَّوْمِ، فَإِنَّ الْفَائِدَةَ الْكُبْرَى وَالْمَقْصِدَ الْأَعْلَى مِنْ هَذِهِ الْفَرِيضَةِ، تَتَمَثَّلُ فِي الْجَانِبِ الْمَعْنَوِيِّ وَالْحَالَةِ الرُّوحِيَّةِ الْمُتَرْتِبَةِ عَلَيْهَا.

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْكِرَامُ،

إِنَّ اهْتِمَامَ الْإِنْسَانِ بِقَلْبِهِ وَرُوحِهِ يَنْبَغِي أَلَّا يَقْلَّ عَنِ الْإِهْتِمَامِ الَّذِي يُعِيرُهُ لِبَدَنِهِ. وَتَقْوِيَةُ الْجَانِبِ الْمَعْنَوِيِّ لَدَى الْإِنْسَانِ تَكُونُ بِتَرْكِيَةِ النَّفْسِ وَتَصْفِيَةِ الْقَلْبِ مِنَ الْأَعْيَارِ. وَبِغَيْرِ ذَلِكَ

⁴ سنن ابن ماجه، كتاب الصيام، 21
⁵ صحيح البخاري، كتاب الصوم، 8، كتاب الأدب 51

¹ سورة البقرة: 185
² سنن النسائي، كتاب الصيام، 5
³ صحيح البخاري، كتاب الإيمان، 28، كتاب الصوم، 6